

مقارنة بين الدراسات الكمية والكيفية

تدرج البحوث العلمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلوم الإعلام والاتصال ضمن اتجاهين أساسيين هما الاتجاه الكمي أو الاتجاه الكيفي ويعتبر هذا التمييز من أهم التصنيفات بالنظر إلى الاختلافات الجوهرية التي تميز كلا الاتجاهين من الناحية الفلسفية ومن ناحية المنهج ومن ناحية الأدوات وطبيعة البيانات، ومنه فإن الاختلافات الجوهرية بين الدراسات الكمية والكيفية تتمثل في:

- **الأسس الفلسفية للتمييز المنهجي:** يعكس التنوع في البحث تنوعاً في المعايير التي توجهه وبشكل أدق فإن التنوع الأنطولوجي (الكياني) والإبستمولوجي (المعرفي) الذي ترتكز عليهما منهجية البحث هو الذي يوجه البحث بمعنى آخر تتطلب منهجيات البحث تصاميم بحثية مختلفة لأنها في بنيتها النظرية تتبع فروضاً أنطولوجية وإبستمولوجية مختلفة تؤثر في المنهجية التي توجه اختيار تصاميم البحث وأدواته وهو ما يقع ضمن الميدان المعرفي المسمى فلسفة العلوم. وفي ضوء هذه الإرشادات تعمل المنهجيات على تهيئة تصاميم البحث التي سيستخدمها الباحثون وتبين لهم مجالات تركيز بحوثهم. تتمثل فروض البحث الاجتماعي الأنطولوجية والإبستمولوجية والمنهجية على شكل أطر مفهومية أو نماذج إرشادية (مدخل نظري) توجه مسيرة البحث وتؤثر فيها، فعلى سبيل المثال يوجه الإطار المفهومي الوضعي الذي يشتمل على أنطولوجيا واقعية موضوعية وعلى إبستمولوجيا تجريبية استراتيجية المنهجية الكمية ويفرض لذلك تصاميم ثابتة وطرائق كمية كذلك فإن إطار التفاعلية الرمزية والظاهرية الذين يشتملان على أنطولوجيا بنائية وعلى إبستمولوجيا تفسيرية يوجهان استراتيجية المنهجية النوعية ويفرضان تصاميم مرنة وطرائق نوعية .

- **طبيعة الواقع والسلوك:** تفترض الدراسات الكمية وجود حقائق اجتماعية موضوعية معزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد ويتم قياسها بأدوات مناسبة تتوفر فيها الخصائص الأساسية من صدق وثبات إلا أن البحث النوعي يفترض وجود مؤثرات عدة يتم بناؤها اجتماعياً من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات للموقف فهناك عدة دوافع تؤثر في المواقف لذا يحاول الباحث في البحث النوعي فهم الظاهرة في ظروفها التي تمت وحدثت فيها.

- **الهدف من البحث:** تهدف البحوث الكمية إلى اختبار بعض الفرضيات التي تتعلق بوصف واقع معين من خلال بناء علاقات وقياس بعض المتغيرات واستخدام البيانات المتوافرة لإيجاد علاقة ارتباطية أو سببية والتوصل إلى عموميات غير مرتبطة بالسياق الذي تنفذ فيه الدراسة كما ويهدف إلى تعميم نتائج البحث على حالات أخرى، أما البحث النوعي فهو أكثر اهتماماً بفهم الظاهرة من منظور المشاركين أنفسهم ومن خلال معايشة الباحث لحياتهم العادية حيث يعتقد الباحثون النوعيون أن الأفعال الإنسانية ومعتقداتهم تتأثر بالمواقف والبيئة التي تحدث فيها لذلك لا يهدف الباحث النوعي إلى تعميم النتائج بل توسيع نتائج الحالة التي كثيراً ما تقود إلى مواقف وحالات قد تكون متشابهة.

- **الموضوعية بين الدراسات الكمية والكيفية:** تعد الموضوعية أحد مبادئ البحث التي تتطلب إخراج أو استبعاد قيم الباحث ولآرائه الشخصية من سيرورة البحث بهدف تقليل الميل والتحيز الشخصي، ولا تزال مسألة ضرورة أن يلتزم البحث بالموضوعية غير محسومة في الأوساط الأكاديمية إذ انقسمت الآراء إلى اتجاهين فكريين متناقضين الاتجاه الحيادي القيمة وهو موقف الباحثين الكمييين والاتجاه المعياري موقف الباحثين النوعيين، ومنه فإن البحث الكمي يقبل مبدأ الموضوعية ويدعمه ويعتبره من أهم مبادئ البحث الاجتماعي، ويعتمد منطق الموضوعية على الاعتقاد أن دور البحث هو إدراك الواقع وتقديمه كما هو لا كما يفسره الباحث أو يتصوره. أما بالنسبة للبحث النوعي فيرفض أتباعه فكرة الموضوعية ويتمثل

المنطق وراء هذا الرأي في عدم وجود واقع موضوعي إضافة إلى ذلك فإن الحيادية لا يمكن تحقيقها وهي غير ضرورية ولا يمكن اعتبار التقويم الداخلي والمشاعر والمعايير غير مهمة أو غير مؤثرة ، ولا يعني هذا الموقف أن الباحثين النوعيين يتخلون عن المتطلب الأكاديمي الخاص بالمسؤولية والصدق والشفافية في أعمالهم ويعني هذا أن شكلا من أشكال الموضوعية مقبول ويمارس من خلال احتواء كل دراسة نوعية دقيقة على قيمة الحقيقة وقابلية التطبيق والحياد الذي يعني القابلية للتحقق وهو عامل أساسي في البحث النوعي.

- **تصميم وسيرورة البحث:** يستخدم الباحثون في تصميم البحث الكمي تصميمًا جيد البناء ويتضمن بالتفصيل جميع خطوات البحث، وينظر إلى البحث كعملية تتقدم في خطى متتالية ومتراصة ويعتمد نجاح خطوة ما على الإكمال الناجح للخطوة التي سبقتها وهذا الخيار يفرض قيودًا أكثر لأنه لا يسمح بالمرونة والحرية في سيرورة البحث (أحادية الاتجاه). أما بالنسبة للبحث النوعي فغياب التصميم هو تصميم بذاته والباحث يحدد سببًا على نحو ما وفي شكل ما ويلتزم به فما من باحث إلا ويعرف ما الذي يريد دراسته وما هي الأوضاع التي سيتحراها وكيف ومتى ومن الفاعلون وما أنواع الحوادث التي تتطلب تسجيلًا وما الأدوات المستخدمة لذلك فالتصاميم النوعية المرنة تبنى قبل بداية البحث لكنها تعرض بشكل عام غير محدد ما يسمح بتفسيرات مختلفة ويتيح المجال لمزيد من القرارات ويسمح بحرية غير محدودة في التنقل بين الخطوات في عملية جمع البيانات وتحليلها في الاتجاهين.

- **دور الباحث:** تتميز البحوث الكمية باستقلالية الباحث عن موضوع البحث بخلاف ذلك فإن البحث الكيفي يعود إلى الإدراك الذاتي للباحث بوصفه عنصرًا أساسيًا من المعرفة ويكون دورًا اجتماعيًا متفاعلًا يعتمد على الذاتية المنضبطة ويؤكد الباحثون الكيفيون على أهمية البيانات التي يتم جمعها من قبل شخص ماهر من خلال الدور التفاعلي والاجتماعي الذي يشارك فيه وأن الفهم العميق للظاهرة إلي يدرسها يتم عن طريق مشاركته الفعالة في الأنشطة الاجتماعية التي يقوم بها المشاركون الحقيقيون وبذلك يكون وثيق الصلة بالبيانات التي يحصل عليها حيث يستطيع أن يطور العناصر التحليلية والتصورية للتفسير من البيانات الواقعية ذاتها وهو ما ينطوي على تحليل عميق يتسم بالشمول وبالقدرة على الوصف الدقيق والتشخيص الصحيح، بينما يكون دور الباحث الكمي منفصلاً عن الظاهرة التي يراقبها من بعيد لكي يتعد عن التحيز وعدم انغماس ذاتهم في إجراءات البحث .

- **العينة والمعاينة:** عينات البحث الكمي تكون عشوائية أو احتمالية في الغالب لتمثل مجتمع الدراسة بعدد مناسب وكبير نوعًا ما أما عينات البحث النوعي تكون مقصودة عددها محدود ولكنها تضمن غزارة وافية من البيانات والمعلومات ويكون المشاركون في الدراسات النوعية عادة أفراد تتوفر فيهم خصائص الحالة المدروسة ويتم اختيارهم بصورة هادفة من موقع ما

- **أدوات جمع البيانات:** يركز جمع البيانات في البحث الكمي على الاستبيان وكذلك المقابلات أو الملاحظات المبنية بناءً محكمًا مسبقًا أما في البحث النوعي فتستخدم المقابلة المعمقة غير النمطية والملاحظة بالمشاركة غير المبنية بناءً محكمًا بالإضافة إلى الوثائق الرسمية والشخصية ذات العلاقة.

- **تحليل البيانات:** تقدم نماذج تحليل البيانات الكيفية طرقًا لإدراك أنماط ذات مغزى أو موضوعات معينة واختبارها ومقارنتها وتفسيرها ويتحدد المعنى بأهداف معينة والغرض من المشروع المتناول والبيانات ذاتها يمكن تحليلها وتركيبها من زوايا متعددة تعتمد على طريقة بحث معينة أو أسئلة تقييمية كما أن تنوع المنظورات يتوافق مع أنماط مختلفة من البيانات وأهداف وتوجهات فلسفية، وفي التحليلات الكمية تعد الأرقام وما يدعمها هي مادة التحليل وعلى النقيض تتعامل التحليلات الكيفية مع الكلمات، وبالرغم من الاختلاف الواضح بين التحليل الإحصائي الكمي والتحليل الكيفي في الإجراءات والأهداف في التحليلات

الكمية يكون من السهل تقسيم الوقت إلى مراحل منفصلة أثناء عملية جمع البيانات ومعالجتها وتحليلها أما في التحليل الكيفي تعد عملية جمع البيانات وتحليلها مرحلة متصلة .

- **معايير الصدق والثبات:** إن معايير الصدق والثبات في الأصل خاصة بالبحوث الكمية لكن هذا لا يعني أن البحوث الكيفية مجردة تماما من أدنى درجات الموثوقية والقوة العلمية بل هي كذلك في حدود طبيعتها الكيفية فافتراضاتها الفلسفية والنظرية تستلزم معايير مختلفة لتقييم نوعيتها وصدقيتها .